﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن بيّنت الآية السّابقة أنّه تعالى قد يأتي بأحداث ينتصر فيها المسلمون، فينكشف نفاق هؤلاء؛ ناسب هنا بيان قول المؤمنين مستفهمين متعجّبين من افتضاح أمر هؤلاء، مع أنّهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أنّهم يناصرون المؤمنين، فالآية استئناف بيانيّ لبيان كمال سوء حال الطّائفة المذكورة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَهۡدَ﴾: جذر الكلمة هو (جهد)، الجَهدُ: ما جهد الإنسان من مرضٍ، أو أمرٍ شاقٍّ فهو مجهودٌ. والجُهدُ: شيءٌ قليلٌ يعيش به المُقِلُّ على جَهد العيش. والجَهدُ: بلوغُك غاية الأمر الّذي لا تألو عنِ الجهد فيه، ومن ذلك قوله: ﴿أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، تقول: جَهَدتُ جَهدي، واجتهدتُ رأيي ونفسي حتّى بلغتُ مجهودي. وجَهَدتُ فلانًا: بلغتُ مشقّته، وأَجهدتُه على أن يفعل كذا. وأجهَدَ القوم علينا في العداوة. وجاهدتُ العدوَّ مجاهدةً: وهو قتالُك إيّاه[1]. الجهد: الطّاقة، وقيل: الجهد: المشقّة[2]. والجُهدُ للإنسان، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التّوبة: 79]، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [الأنعام: 109] و[النّحل: 38] و[النّور: 53] و[فاطر: 42]؛ أي: حلفوا واجتهدوا في الحَلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم[3].

2) ﴿حَبِطَتۡ﴾: جذر الكلمة هو (حبط)، الحَبَط: وَجَع يأخُذُ البعيرَ في بَطنه من كلأٍ يَستَوبِلُه[4]. ويقال: حَبِطَتِ الإبل تحبَط حَبَطًا. وحَبِطَ عَمَلُه: فَسَدَ، وأحبَطَه صاحبه، واللّه مُحبِطٌ عمل من أشرك[5]. ومنَ المجاز: حبط عمله حبوطًا وحبطًا بالسّكون، وأحبط اللّه

(1) الخليل، العين: (جهد).
(2) ابن سيده، المحكم: (جهد).
(3) الرّاغب، المفردات: (جهد).
(4) الخليل، العين، وابن سيده، المُحكم: (حبط).
(5) الخليل، العين: (حبط).

عمله. وتقول: إن عمل عملًا صالحًا أتبعه ما يحبطه، وإن أصعد كلمًا طيّبًا أرسل خلفه ما يهبطه؛ استعير من حبط بطون الماشية[1].

وقوله: ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [محمّد: 32]، وحَبَطُ العملِ على أضرُب: أحدها: أن تكون الأعمال دُنيويّة، فلا تُغني في القيامة غَناءً، كما أشار إليه بقوله: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: 23]، والثّاني: أن تكون أعمالًا أخرويّة لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى[2]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: 88].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لمّا بيّن حال المنافقين بيّن على أثره حال المؤمنين، فالمنافقون قالوا: ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾، فأردفه قول المؤمنين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾؛ أي: الّذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان أنّهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفّار. فإذا حلفوا بالله فهو جهد اليمين[3]، وأنّهم لا يوالون اليهود والنّصارى والّذين أشركوا، وأنّهم على دينكم، فبيّن الله حبوط أعمالهم، وخسرانهم في الدّنيا والآخرة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الفصل والوصل مع تنوّع القراءات في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

تنوّع القراءات فيه تغزير المعنى مع اتّحاد الرّسم، فكأنّ كلّ قراءة بمثابة آية

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأه الجمهور: (يقول) بدون واو في أوّله على أنّه استئناف بيانيّ جوابٌ لسؤال مَن يسأل: ماذا يقول الّذين آمنوا حينئذٍ؟.. أي: إذا جاء الفتح أو أمر من قوّة المسلمين ووهن اليهود يقول الّذين آمنوا.

(1) الزّمخشريّ، أساس البلاغة، وعياض، مشارق الأنوار: (حبط).
(2) الرّاغب، المفردات: (جهد).
(3) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/398.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائيّ، وخلف: (ويَقول) بالواو وبرفع (يقول) عطفًا على (فعسى الله)[1]، إذ أفاد الوصل ظهور كمال المشهد، وقد أتمّ الله النّصر على المؤمنين، فيقول الّذين آمنوا مع ما هم فيه من جمال النّفس وراحة البال، وهم يراجعون المواقف والأحداث بعد أن استقرّ الأمر على نصرهم، فينكشف أمامهم مشهد أولئك الّذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنّهم مع المؤمنين، ثمّ بان ما هم فيه منَ النّفاق، وتغيير المواقف.

وقرأه أبو عمرو ويعقوب بالواو أيضًا، وبنصب (يقول) عطفًا على (أن يأتي)[2]؛ في افتراض مشهد من مشاهد النّصر؛ وهو قول المؤمنين في كلّ موقف مشابه لما حدث في فتح مكة أو في الفتوحات الإسلاميّة الأخرى.

خروج الاستفهام إلى معنى التّعجّب في قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾:

مع نهاية الأزمات يتسنّى تقييم النّاس بحسب المواقف والشّواهد

والاستفهام في (أهؤلاء) مستعمل في التّعجّب من نفاقهم، و(هؤلاء) إشارة إلى طائفة الّذين في قلوبهم مرض، والظّاهر أنّ (الّذين) هو الخبر عن (هؤلاء)؛ لأنّ الاستفهام للتّعجّب، ومحلّ العجب هو قَسمَهم أنّهم مع الّذين آمنوا، فيقاتلون معهم، وينصرونهم، وقد دلّ هذا التّعجّب على أنّ المؤمنين يظهر لهم من حال المنافقين يوم إتيان الفتح ما يفتضح به أمرهم، فيعجبون من حَلِفهم على الإخلاص للمؤمنين[3].

دلالة تأكيد القسم في قوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾:

الكشف عن أنّ الجهد كلّه في القول:

جاء القسم بـ (إنّ) واسميّة الجملة تناسبًا مع وصفه بالجهد، ولم يقسموا أنّهم مؤمنون، فلم يقل مثلًا: إنّهم مؤمنون، أو: إنّهم موالون لكم تناسبًا مع حالهم في المراوغة، فليس القسم بمعيّتهم مؤدّيًا إلى وصفهم بالإيمان.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/233.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/233.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/233.

الاستعارة في قوله: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾:

أفعال الإنسان آية على ما في قلبه من الإيمان

حقيقة الجَهد التّعب والمشقّة ومنتهى الطّاقة، ثمّ أطلق على أشدِّ الفعل ونهاية قوّته لِمَا بين الشّدّة والمشقّة منَ الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم، ثمّ استعمل في الآية في معنى أوكَدِ الأيمان وأغلظها؛ أي: أقسموا أقوى قَسَم، وذلك بالتّوكيد والتّكرير، ونحو ذلك ممّا يغلّظ به اليمين عُرفًا. قال ابن عاشور: ولم أرَ إطلاق الجَهد على هذا المعنى فيما قبلَ القرآن[1]، فحاصل المعنى: أهؤلاء الّذين أكّدوا الأيمان وشدّدوها[2]، فصرّح بالمُشبّه به وهو الجهد، وحذف المشبّه وهو التّشديد، فهي استعارة تصريحيّة، فائدتها: بيان تلك الصّورة المُتخيّلة لدى المُتلقّي، وهو يتصوّر ذلك الجُهد المبذول من قبل هؤلاء المُنافقين المُتناقض مع دواخلهم النّفسيّة، ممّا يُكلّفهم طاقة إضافيّة للتّمظهُر بأحوال الصّادقين، وقد قدّم (بالله) لبيان عظيم القسم، وشديد جهدهم فيه الّذي يُقسمون به طلبًا في تصديق المؤمنين لهم.

موقع قوله: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾، **ودلالته:**

قوله: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ يحتمل أن يكون جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى؛ لبيان مآل ما صنعوه منِ ادّعاء الولاية والقسم على المعيّة في كلّ حال إثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام، ويمكن أن يكون من جملة مقول المؤمنين؛ بأن يجعل خبرًا ثانيًا لاسم الإشارة، أو يجعل هو الخبر والموصول مع ما في حيّز صلته صفة للمبتدأ، والمعنى: بطلت أعمالهم الّتي عملوها في شأن موالاتكم، وسعوا في ذلك سعيًا بليغًا؛ إذ لم تكن لكم دولة، كما ظنّوا فينتفعوا بما صنعوا منَ المساعي، وتحمّلوا من مكابدة المشاقّ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/233.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 3/327.

وفيه منَ الاستهزاء بالمنافقين، والتّقريع للمخاطبين ما لا يخفى[1].

وحبط العمل هنا هو على معنى التّشبيه، وإلّا فلا عمل له في الحقيقة فيحبط، وجوّز الحوفيّ أن يكون حبطت أعمالهم خبرًا ثانيًا عن هؤلاء، والخبر الأوّل هو قوله: (الّذين أقسموا)، وأن يكون (الّذين) صفة لـ(هؤلاء)، ويكون (حبطت) هو الخبر[2].

الجملة بين الخبر والإنشاء:

التّناوب في أحوال المنافقين متوافق مع ما في قلوبهم من تردّد القيم والأخلاق

قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ ظاهره أنّه خبر من جملة ما يقوله المؤمنون، اعتمادًا في الإخبار على ما حصل في اعتقادهم؛ أي: بطلت أعمالهم. وقد يخرج هذا الخبر إلى معنى التّعجيب، قال الزّمخشريّ: كأنّه قيل: ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم[3]. ويحتمل أن يكون إخبارًا منَ اللّه تعالى؛ لبيان سوء حالهم، وما أوقعوا أنفسهم فيه منَ الخسران عند اللّه سبحانه، وقد لا يكون خبرًا بل إنشاء؛ باعتبارها جملة دُعائيّة على أولئك الّذين يبطلون أعمالهم بردّتهم، والدُّعاء إمّا منَ اللّه تعالى، وإمّا منَ المؤمنين.

التّكرار لكلمة ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ بين آيتين:

تتواصل آيات القرآن وتنسجم في نصّ معجز يرتبط أوّله بآخره

بعد أن ذكر ما أصاب المنافقين من ندم على ما أسرّوا في أنفسهم، فقال:

﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.. كرّر كلمة (فأصبحوا) في هذه الآية قوله في وصف مشهد مُتمّم للأوّل قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾، وفائدة هذا التّكرار هو إحداث رابط بين السّبب والنّتيجة، وما آلت إليه أحوالهم بسبب

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 3/327.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/296.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/644.

أفعالهم... ثمّ ما في كلمة (فأصبحت) من رجاء رؤية تفاصيل المشهد والوضوح.. فلمّا كان السّبب واضحًا، وهو ما أسرّوا في أنفسهم منَ الغدر والعدوان، كانتِ النّتيجة أكثر وضوحًا، وهي ما أصاب أعمالهم منَ البطلان والخسران.

التّناسب بين (نادمين) و(خاسرين):

تنـــوّع صـور حبط الأعمال، لـكـنّ المشهد الأخير واحد هو الخسران التّامّ والنّدم المُطبق

والتّناسب بين الخسران والنّدم واضح بيّنٌ، وقد جاء في القرآن في أكثر من مَوضِع؛ من ذلك ما سبق ذكره في السّورة نفسها من قصّة ابني آدم، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: 30]، ثمّ أتبعها بقوله: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: 31]، هذا فضلًا عنِ استعمال كلمة ﴿فَأَصۡبَحَ﴾ مع الخسران والنّدم، وهي نفسها استُعملت هنا مع النّدم والخسران.

والتّشابه في المشاهد يعكس شناعة أفعال هؤلاء المنافقين، ورغبتهم في القضاء على المؤمنين كما فعل ابن آدم في أوّل حدث إجراميّ شنيع، ويُضاف إلى ذلك كلّه التّناسب في الفاصلة القرآنيّة بين ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ و﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، وانسجام الصّوت مع وحدة الموضوع.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»